

فقصدها الاهرام فلذلك تراها لا تزال متأهبة للوثوب في كل آن مترقة
فرصة للهجوم وهيبات ان يقع ذلك منها في الامكان

الحرب

الحرب مناجزة المتخاصمين بالسلاح طمعا في جر منم او دفعا لآثم
فهي هجوم ودفاع وسطوة وامتناع فطر عليها الانسان لما في طبعه من
الاثرة والعدوان ونزعت اليها القبائل والممالك في كل زمان ومكان على ما
يصحبها من نهب الاعمار وهدر الدماء واستباحة الدمار وجوانح البلاء
وما تجر وراءها من البوار والدمار وتخريب الديار والجوع والوباء وجميع
ضروب الشقاء فهي اعظم الخطوب الملة بالسلائل البشرية واشد المصائب
على الحالة المدنية بل هي اكبر جنسية اقترفها الانسان ضد نفسه وتمدها
لهلاك ابناء جنسه على ان قوما لا يرون فيها الا العدالة يسان بها الدمار
والعزة تحمي بها الممالك والامصار والافقة من احتمال مذلة الضيم والعار
والقوة التي يتمتع بها الجار على الجار وقد كتبت على الناس مكرهين وربما جعلت
فرضا من فروض الدين ولم تزل الامم تعظم شأن الابطال وتقيم الانصاب
للذين غلبوا في ساحة القتال تحليدا لذكورهم واجلالا لتقدمهم قال ابو الطيب
لا يسل الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
وقال

أعلى الممالك ما يبنى على الاسل والطمع عند محييين كالقمل
وما تقرأ سيف في ممالكها حتى تقلل دهرًا قبل في القمل

ولا مرآء في ان الانسان نشأ على محبة الخصام والرغبة في الانتقام اذ لم يكن لمطامعه رادع ولا لشهوته وازع بدليل ما حدث في القدم من مقتل احد الاخوين ولم تكن ارض الله ضيقة على اثنين . وزى في الآثار البشرية الباقية منذ الازمنة العريقة في القدم قبل عهد التارخِ ظرآنًا استعمالها الاولون سلاحاً للصيد والحرب قبل ان عرفوا المعادن واستنبطوا الشبه والحديد وكانوا في عهد همجيتهم يصطادون بعضهم كما كانوا يصطادون البهائم ويقرمون الى اكل اللحم البشري كما فعل بعض القبائل الوحشية لهذا العهد فكان شأنهم في اثاره الحرب شأن الضواري يفترس القوي الضعيف ثم استنبطوا السلاح من المعادن فاستعملوا البسي والرماح والسيوف والدروع والحوذ وغيرها وقد ضربوا في اكناف الارض ينتجون موارد الكلا لسوائهم ويحجون مواتها بالحرب والفرس لمعاشهم فصارت الحرب غيرةً ومنافسةً كما بينت القبائل المتجاورة والمناظر المتناظرة وفي هذه الحالة صار الانتفاع بالاسرى وسيلةً لاستحيائهم حيث كانوا يسترقونهم لحرب الارض ورعاية المواشي . ثم صارت عدواناً وغزواً كما بين الامم الوحشية الذين يحملون ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم مما بايدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه الحرب . ولما قويت اسباب الحضارة واتسع العمران ولي الاحكام ملوكٌ توسلوا بالسلطة الدينية الى ما طمحت اليه نفوسهم من الاستبداد فجمعوا الجيوش الجرارة يزحفون بها بعضهم على بعض وبالقوا في احكام المعادل والحصون والاكتار من العدد وآلات الهجوم والدفاع وما زالوا على ذلك من قديم الزمان ينكثون بعضهم ببعض ويريقون الدماء ظلماً وبغياً حتى اندرست معالم العمران وقوض بناء المدينة بباب السكان ومن نظر الى ما حدث في الحروب الدينية من الفظائع والموبقات وما

افضت اليه من خراب الممالك وارتكاب المنكرات تبين ثم الاسباب التي
 حلت انصار المدنية من ساسة الممالك على انكارها والقيام ضدها فلم يبق لها
 ذكر الا في مخيلة بعض الاعرار ممن طمس الجمل على عقولهم والفضل في
 ذلك لفئة من رجال الدين قامت بتدبير بعض ممالك اوربا على اثر الحروب
 الدينية بين البابويين والبروتستانت وقد انتهت هذه الممالك من سنة الغفلة
 وشمرت بما كان يمزقها من الدسائس الداخلية فهدت بتدبير شؤونها الى رجال
 ذوي حكمة وحزم اجمعوا على قربة السلام بين الدول الاوروبية فسلخت الصفات
 السياسية عن الجيوش وقوادها وتقيدت كل مملكة منها بنظام تُعرف منه حقوق
 الحكام والمحكومين واستقلت وزارة الحرب وسُتت القوانين التي تُعرف بها
 حقوق الدول فيما بينها وجرت المعاهدات على حفظ السلام العام . على ان
 الحروب لم تبطل ولكنها تحولت من الحالة الدينية الى الحالة المدنية على ما هو
 جار الآن بين الدول

ولا ينكر ان سياسة هذا العصر جارية على المكر والدهاء لا على القوة
 والبطش وغايتها حفظ الموازنة بين الدول الاوروبية الكبيرة والمحافظة على ما لكل
 دولة من الحقوق والاملاك ومبدأها حفظ السلام تذرُّعاً الى نماء العمران
 وانتشار الامان واتساع نطاق التجارة في كل مكان . على ان كل دولة تناظر
 الاخرى وتكاثرها فيما لديها وتوجس منها خيفة العدر والفتك وتحذر من ضعفها
 بازاء قوة جارتها وتحنن فرصة لتتقوى اما بالاستعمار او باختراع آلات الهلاك
 او بالمال او بمخالفة غيرها مما تشدُّ به ازرها او بغير ذلك وكل دولة واقفة
 للآخرى بالمرصاد تراقب كل اعمالها الداخلية والخارجية ما استطاعت الى ذلك
 سبيلاً . واذا كانت الامة راقية في مجبوحة الرفاهية سابقة القدم في حلبة المدنية

واقية في معارج النجاح وكانت هي المتصرفة في تدبير شؤونها لا يصدر ساستها
الا عن رأيها فما ابعدها ميلاً عن الحروب وما اقربها الى حفظ السلام ولذلك
لا يخشى وقوع حرب بين الدول الاوروبية اذا لم تختل الموازنة بينها
وقد قرر عندم اليوم ان الموازنة بين الدول الاوروبية لا تثبت اركانها ولا
يقوم بنائها الا بالمحافظة على السلم مع الدولة العثمانية ولذلك حين هبت الدولة
اليونانية لمناشبتها الحرب في هذه الايام رأينا الدول الاوروبية ولا سيما الروسية
مماثلة للدولة العثمانية ضد اليونان على حين كانوا يستغيثون بها فلم تحفل بهم
ولم تحركها العوامل الدينية الى قطع العلائق المدنية فثبت ان لفظة الحرب
الدينية قد انقضت من معجم السياسة

على ان ثمة حرباً اشدّ نكالاً بالشرقيين من الحروب الدينية وغيرها
وهي الحرب التي يشبها علينا الاوروبيون واساطيلهم لا تختر البحار وقنابلهم لا
تذف النار وجيوشهم لا تثير الغبار اعني بها الحرب الادبية التي ينازعوننا
بها مصادر الحياة فانهم بحجة المعاهدات التجارية قد جاسوا خلال الديار فدنا
لهم صاغرين ثم تبوأوا منصة السيادة فاقبلنا عليهم مستعبدين وأتى يتاح لنا ان
تناظرهم وهم السابقون في حلبة الابداع والاختراع الدائبون على توفية العلم
حقه من التدقيق والتحقيق القائلون القول يصدق الفعل لا يدالسون فيه ولا
يؤالسون الفاعلون بما تقتضيه الحرية لا يخافون ولا يتكتمون ونحن بالترهات
لاهون وعن الحقائق متشاغلون

واذ قد فصل السيف الآن بين الدولتين وحسم ما كان يخشى ان
تجره هذه الحرب من العواقب الهائلة ساغ لنا ان نعقد الامل بعود السلم الى
مجره ودلنا ما آتسناه من صنع الدول في هذه النازلة وتصرفهم في سياستها

ان الحرب قد اصبحت في هذا العصر من ابعد الامور حدوثاً فلا يُحْشَى ان
تقف في طريق نجاح الامم وتقدمهم في سبل الحضارة والعمران وان ما تنشئه
يد العلم والتمدن اليوم لا تسطو عليه يد الجهل والخشونة غداً فتردهُ اثرأ بعد
عين وهذا لاشك من افضل ثمرات المدنية في هذا العصر وان راي بعض
الناس خلافاً في الامر بما تصوّره لم اهوأؤهم . ومن تمثل حالة البلاد التي
كانت معتركا لهذين الجيشين وما آلت اليه من الخراب والدمار وما سُفِكَ
فيها من الدماء الزكية المملوءة حياةً وشباباً وذوى بجانبها من الآمال التي كانت
تبسم بهجةً واستبشاراً وما طرأ بسبب ذلك من اقفار المنازل وخلو المدن
الاواهل وهلاك الزرع والضرع وتسطل التجارات والصناعات وما نزل بالقوم
من دواهي الشكل وتشتت شمل الاحياء والاهل وانقماش العيال في الفاقة
المدقمة والشدائد المتنوعة الى غير ذلك من ضروب البلاء والوان الشقاء
كفاه ذلك عبرةً تُشعر لها الابدان واستعاذ بالله من شر الانسان وما
احسن ما قاله علامة العصر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي طيب الله ثراه وجعل
الجنة مأواه

ولقد رأيت الأسد احسن خلةً من جنس هذا الناطق المتمرد
الناس تقتل كل يوم بعضها والأسد تقتل غيرها اذ تعتدي

لغز

لأحد الادباء

ما اسمٌ خناسي البنا هو واحدٌ ان شئت او جمعٌ بغير نكير
واذا عمدت لجمعه نافي الذي جمعوا كما قد شذ في التصغير